من حديث الشهداء

بقية المنشور على صفحة ٠ د ٠

يقول ذلك ثم يجود بنفسه بين ذراعيها . هنالك نذرت سلافة لئن قدرت على قاتل ابنيها لتشربن فى قحف رأسه الخمر ، وهنالك اذاعت فى أهل البادية واعراب الحجاز ان من جاءها برأس ابن الأفلح هذا فله مائة من الابل . هذا أصل الشر وهذا مصدر البلاء .

قال قائل وأى شىء لا يفعله الاعراب فى سبيل جزور فضلا عن عشرة من الابل ، فضلا عن مائة من الابل ؟ قال نسطاس : والغدر أيسر ما يفعله الاعراب لبلغوا أيسر من هذا المال .

أقبل جماعة من هذيل على صاحب يثرب فزعموا له انهم قد آمنوا به وأسلموا له ، وان دينه قد فشا فيهم ، وسألوه أن يرسل معهم من يفقههم فى الدين ويعلمهم شرائعه . يظهرون الاخلاص ويضمرون الغدر ، لا يبتغون الا أن يظفروا بنفر من أهل يثرب يبيعونهم من قريش لتصيب بهم ثأرا وليصيبوا بهم مالا . ويريد الله لأمر قضاه أن يختار نبى يثرب ستة من أصحابه وأن يؤمر عليهم عاصم بن ثابت بن الأفلح الذى كانت تبتغيه سلافة ، وان يرسل هؤلاء النفر من أصحابه مع أولئك الغادرين . فما هى الا أن يقربوا من مكة حتى يظهر الخنى ويصرح الشر ويتبين الغدر . واذا الذين كانوا يعلنون ايمانهم يستصرخون فيأتيهم الصريخ من هذيل . واذا اصحاب محمد يرون الغدر فينحازون الى الجبل ويعاهدهم أعداؤهم على ألا يقتلوهم ولا يمسوهم بأذى أن هم القوا بايديهم . فاما عاصم واثنان من أصحابه فيقسمون لا ينزلون على عهد كافر أبدا . ويقاتلون حتى يقتلوا . وأما الآخرون فيحبون الحياة ويلينون لها ، فيستأسرون ولا يكادون يفعلون حتى يروا الغدر ، فيأبى أحدهم أن يتبع الغادرين واذا هو مقتول ، ويبقى الآخران أسيرين يحملان الى مكة ويباعان فيها . فيشترى أحدهما صفوان ويأمرنى به فأتم له ما قدر له من نعيم ، ويتم لى ما قدر لى من شقاء .

ثم يجهش نسطاس بالبكاء ويغرق فيه حينا . ثم يعود الى حديثه فى صوته ذلك الهادىء البعيد ، فيقول لقد عرفت ورأيت من أنباء هؤلاء الناس ما لم أكن أقدر أن أعرف أو أرى . ولولا أن الشقاء مقضى على ومقدور لى ، لكان فيما عرفت قبل أن أقترف الاثم صارف لى عن اقترافه ، وماذا كنت أخاف لو عصيت صفوان ولم أسفك هذا الدم الحرام ؟ وأيهما أهون على ؟ وأيهما كان خليقاً أن أوثره ؟ ألموت بيد صفوان أم الشقاء الأبدى الذى دفعت اليه ؟

لقد فرحت هذيل بمقتل عاصم بن ثابت ، وقالت مائة من الابل تدفعها الينا الى حين تأتينا بهذا الرأس ، ثم أقبلوا اليه يريدون أن يحتزوا رأسه ؟ ولكن ماذا سمعت وماذا تسمعون ، هذه ظلة من الدبر (١) تقوم دونه فتحميه وتمنعهم أن يصلوا اليه ، فيقول بعضهم لبعض : دعوه حتى يأتى الليل فنصرف عنه هذه الدبر ، ونخلص لنا رأسه . حتى إذا كان الليل هموا أن يسعوا اليه ليحتزوا رأسه ؛ ولكن ماذا سمعت وماذا تسمعون ؟ لم يبلغوه ولم يمسوه ، وإنما أقبل السيل فاحتمله ، ومضى به إلى حيث لا تبلغه يد . ولقد حدثت أن هذا الرجل كان قد نذر ألا يمس كافرا ولا يمسه كافر ، ولقد حدثت أنه لما امتنع على القوم فقاتلهم وقاتلوه ، رفع صوته ضارعاً الى ربه وهو يقول : اللهم إنى قد حميت دينك أول النهار فاحم لحمى آخر النهار . ولما بكى نسطاس عند هذا الحديث فلم يملك وحده ، وإنما بكى معه أصحابه جميعا بكاء طويلا ، حتى إذا كفكفت عبرته وهدأ عنهم البكاء مضى فى صمته ، ولكنهم ألحوا عليه أن يتم ما بدأ من الحديث ، فقال وبم تريدون أن أتحدث اليكم ؟ لقد كنت أقرأ أخبار شهدائنا وأسمع أحاديثهم فأرهبها وأكبرها وأخافها وأرغب فيها وأود لو أنى حييت فى تلك الأيام التى كانت ترخص فيها الحياة ، ويغلو فيها الايمان ، وأود لو أنى كنت واحداً من هؤلاء الناس الذين باعوا نفوسهم من الله ، فقد أتيح لى اليوم أن أعيش فى بيئة الشهداء وأن أراهم وأتحدث اليهم وأسمع منهم ، ولكنى لم أبع نفسى من الله ، وإنما بعتها من الشيطان ، ولم أسفك دمى فى سبيل الله ، وإنما سفكت دم شيطان كريم .

ولقد سمعت أبا سفيان زعيم قريش يسأله ايما احب اليه ؟ أن يقوم محمد مقامه هذا وأن يكون هو آمنا بين اهله ؟ فيجيبه والله ما احب ان تصيب محمدا شوكة تؤذيه وانا آمن بين أهلى ؛ فيقول ابو سفيان لمن حضر من اشراف قريش : ما رأيت احدا يحب احدا كما يحب هؤلاء الناس صاحبهم . ثم تمتد يدى الآثمة الى هذه الحياة الطاهرة فتطفىء سراجها ، والى هذا الدم الزكى فتسفكه على الارض مخافة من غضب صفوان ، يا للهول ! لقد كنت أحسب ان صفوان لم يملك

(١) الدبر جماعة النحل

الا جسمى وان نفسى مازالت حرة . فقد علمت الآن انى رقيق حقا ، وقد علمت الآن ان سلطان السادة على الارقاء قد يتجاوز الاجسام الى النفوس ، وقد علمت الآن ان الرجل الذى يرضى بالرق ولا يموت دون الحرية انما يقتل نفسه قتلا . لقد قتلت نفسى يوم آثرت الحياة وقبلت ان اكون سلعة فى يد أولئك التجار

قال رجل من اصحابه إن كان صريعك هذا شهيدا كريما ، وما اراه الا كذلك ، فان رفيقه الذى قتله بنو الحارث بن عامر لم يكن أقل منه كرامة ، ولعل مصرعه أن يكون أشد من مصرع صاحبه ترويعا للنفس وتمزيقا للقلب ، لم يبسطوا عليه بالشر يد مولى من مواليهم أو عبد من عبيدهم ، وانما كانوا ظماء الى دمه ، حراصا على أن يخمدوا جذوته بايديهم . خرج به جمعهم الى التنعيم فلما ارادوا قتله استأذنهم فى أن يتقرب الى ربه بالصلاة قبل ان يخطو آخر خطواته فى الحياة ، فاذنوا له فصلى ركعتين ، ثم قال لهم لولا انى أخاف ان تظنوا بى الجزع لزدت . ثم ينهض اليه أحدهم فيقتله ويعودون عنه وانهم ليتحدثون من اخلاقه وخصاله بما كان خليقا ان يصرفهم عن قتله لولا أن قلوبهم قست فهى كالحجارة او اشد قسوة . لقد كانوا يقولون انهم جعلوا سجنه عند امرأة منهم ، وان هذه المرأة كانت تتحدث اليهم من أمره بالا عاجيب ، كانت تراه مغلولا يأكل من الفاكهة والثمر ما ليس لاهل مكة عهد به فى مثل هذا الوقت . لا تدرى كيف سيق اليه . ولقد رأتهم انه حين اظله اليوم الذى كان يراد قتله فيه طلب اليها موسى يتهيأ بها للموت . فارسلتها اليه مع طفل صغير يدرج ، ثم لم تلبث ان راعها ما فعلت ، وان امتلأ قلبها رعبا ، وان قالت لنفسها ما يمنع هذا الاسير ان يقتل هذا الصبى فيثأر بنفسه قبل أن يدركه الموت ؟ واقبلت عليه مسرعة فاذا هو قد اجلس الطفل على فخذه وهو يداعبه ويلاعبه ، وأكبر الظن أنه انما كان يودع فيه طفلا له بعيدا . فلما رأى المرأة مقبلة وقد اخذها الروع ابتسم لها ابتسامة الحزن ، ونظر الى الطفل نظرة الحب ، وقال للمرأة : أشفقت على هذا الصبى من الغدر ، ليس الغدر من أخلاقنا

أفمثل هذا الرجل كان خليقا أن تقدمه قريش فتقتله لو أن قريشا تعرف الحق ، أو تقدر الخير ، أو ترجوا لله وقارا ، أو تحس فى قلوبها أثرا من آثار الرحمة والبر ؟ قال قائل منهم ما أرى الا أن لهؤلاء الناس من أهل يثرب شأنا . فلو أنهم يقيمون أمرهم على شىء من باطل هذه الحياة الدنيا لما استقبلوا بهذا الحزم ، ولما احتملوا فى سبيله هذه الأهوال ، ولما رخصت عليهم نفوسهم ودماؤهم وأموالهم واهلهم الى هذا الحد . والله انى لاسمع ما يقال وأرى ما يحدث فلا أشك فى أن اهل هذه الارض يستقبلون عصرا كذلك العصر الذى استقبله اهل بلادنا حين انبعث فيهم رسل المسيح . هذا الايمان الذى زين فى بعض القلوب ما زهدها فى كل شىء ، هذا اليقين الذى سيطر على بعض النفوس حتى هون عليها كل شىء ، هذه المعجزات التى تساق الى الناس فى يسر وسذاجة وما كانوا يتظرونها ولا يرجونها فلا تغرهم ولا تطغيهم ولا تدفعهم الى أشر ولا بطر

كل هذا دليل واضح على أن السماء لم تقرب من الأرض قربها فى هذه الأيام ، وعلى أن أخبار السماء لم تتصل بالارض اتصالها فى هذه الايام ، وعلى أن الله يريد بالناس شيئا لم تكن تقدرانه كائن ، ولكن او أنه قد آن . اما انى لاحق بهؤلاء الناس ان استطعت الى ذلك سبيلا . قال الآخرون : ما ايسر ذلك وما أعسره ! وانى لمثلك ان يفلت من سادة قريش ، وإن من حول مكة من أهل البادية لأرصادا على من أقبل من يثرب أو قصد اليها من الاحرار فكيف بالرقيق ؟ قال نسطاس وهو يتحبب فكروا فى ذلك ودبروا : وتهيأوا لذلك واستعدوا ، فأنتم أهل لهذه الكرامة ان كان الله قد قضاها لكم ؛ أما أنا فقد كتب على الشقاء ، وما أرى أن بحار الأرض لو سلطت على التنعيم تستطيع أن تغسل عنه آثار هذا الدم الزكى الذى سفكته هذه اليد الآثمة ، ثم قام عنهم يعدو مشتدا فى العدو ، فلم يروا له بعد ذلك اثرا ، ولم يسمعوا عنه بعد ذلك خبرا .

طه حسين

اكتشاف مصرى لنباتات مدهشة

لازالة النمش وحب الشباب للسيدات والرجال

اكتشف الشاب النابه ابراهيم افندى ابراهيم شافعى صاحب محل العطارة المعروف بوكالة أبو زيد بالحزاوى المؤسس منذ سنه ١٨١٢ نباتات مصرية ذات نتيجة باهرة ، وذلك بعد التجارب العديدة ، وقد جعلها مسحوقا فى اكياس صغيرة فى متناول يد الجميع . فاذا أردت نجاحا مؤكدا فجرب كيسا صغيرا وسيدهشك النتيجة : ارفق بطلبك اذن بوستة بخمسة قروش صاغ يصلك طالما فى الحال